

## ترجمات

### الحرب الإسرائيلية على غزة

زاكي شالوم\*

هل الحسم ممكن مع "المنظمات الإرهابية"؟

"الرصاص المسبوك" مثلاً\*\*

يعتقد كاتب هذه المقالة، أن إسرائيل استطاعت تعزيز قوة الردع لديها في مواجهة "حماس" وخصومها الآخرين جراء عملية غزة، وهذا الأمر، في نظره، إنجاز مهم. أمّا الإنجاز الآخر فهو التوصل إلى إنشاء آلية فاعلة لمراقبة تهريب السلاح إلى قطاع غزة، وذلك بمشاركة مصر والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، كما أن إسرائيل تمكنت من تعميق الشرخ بين العرب معتدلين ومتطرفين. ورأى الكاتب أن تفوق تيار المعتدلين العرب بقيادة مصر على تيار المتطرفين العرب يخدم مصالح إسرائيل في نهاية المطاف، وتوقع أن تسعى حركة "حماس" للمحافظة على فترة من الهدوء كي تتمكن من رصد مبالغ كبيرة لإعادة بناء ما تهدم في قطاع غزة، وأن تحقيق نصر حاسم في المواجهة مع "المنظمات الإرهابية" هو هدف غير قابل للتحقق.

إن ما يمكن ملاحظته هو أن حملة "الرصاص المسبوك" حققت بعض النجاحات المهمة من منظور إسرائيل، وإن كان بعضها لا يزال بحاجة إلى إثبات. ففي سياق هذه العملية، لحقت أضرار جسيمة بالبنى التحتية المدنية والعسكرية التابعة لـ "حماس" في قطاع غزة، وقتل المئات من ناشطيها، أو جرحوا. ووصف قادة الحركة الوضع في غزة بالكارثة، كما وصف خالد مشعل، رئيس مكتبها السياسي، عملية الجيش الإسرائيلي بـ "المحرقة". وقد قدم الصحفيون والدبلوماسيون الأجانب تقارير عن حجم الأضرار. وسيتعين على حكومة "حماس" رصد موارد كبيرة لإعادة بناء المنطقة، ويمكن للمرء أن يفترض أنها ستسعى للمحافظة على الهدوء في فترة إعادة البناء، مهما يطل أمدها. (1)

ومن شبه المؤكد أن العملية عززت، إلى حد ما، قوة الردع الإسرائيلية في مواجهة "حماس"، وربما أيضاً في مواجهة غيرها من العناصر المعادية في هذه المنطقة، ومع ذلك، فإنه يجب عدم المبالغة في مدى هذه القوة. ولعل رئيس الحكومة أولمرت بالغ، في مقابلة أجريت معه بعد الحرب، في وصف مدى قوة الردع التي تحققت وتأثيرها، فقد صرح قائلاً: "لقد أصبحت قوة الردع الإسرائيلية اليوم، أشد من أي وقت مضى، ليس فقط مقارنة بما كانت عليه خلال العقد الماضي، لكن بما يتعدى ذلك كثيراً. قوة الردع هذه هي ضد محور الشر كله، وهذا ما يعلمه كل من هو بحاجة إلى أن يعلم... إن الحرب في لبنان لم توجد قوة ردع تجاه حزب الله فحسب، بل ضد سورية أيضاً". هذه القوة، بحكم طبيعتها، تكون فاعلة في حدود أطر محددة من حيث الزمان والمكان، ويتم اختبار مدى قوتها كلما مر الوقت. وفي أي حال، ليس من المؤكد أن قوة الردع في القطاع الجنوبي ستترجم، على سبيل المثال، في القطاع الشمالي أيضاً، وأنها ستنطبق على حزب الله. (2)

ويبدو أن إسرائيل نجحت في إيصال رسالة إلى "حماس" فحوها أن قواعد اللعبة التي كانت قائمة قبل العملية، تغيرت بما لا يقاس. وعلى أساس القواعد الجديدة، فإن سياسة الجيش الإسرائيلي، فيما يتعلق بالردع على النيران، ستكون مختلفة تماماً عن ذي قبل. وقد أدلى كبار ضباط الجيش الإسرائيلي بتصريحات كهذه قبل عدة أشهر، غير أن تصريحاتهم قوبلت بقدر كبير من الشكوك بشأن تصميم الجيش الإسرائيلي على تنفيذ القواعد الجديدة. لكن عملية الرصاص المسبوك أثبتت أن الجيش الإسرائيلي تبنى، فعلاً، سياسة جديدة مختلفة كثيراً عن تلك التي سبقتها. وفي سياق القواعد الجديدة، يكاد يكون من المؤكد أن إسرائيل نجحت في إيجاد تهديد ذي صدقية فحواه أنها مستعدة لأن تستخدم قوة نارية هائلة وغير متكافئة، وأن تستهدف، إذا لزم الأمر، المناطق السكنية، والمساجد، والمدارس، والجامعات، ومؤسسات الأمم المتحدة، وغيرها من المواقع التي كان يعتقد حتى الآن أن إسرائيل لن تصل إليها. (3)

الإنجاز الإسرائيلي الآخر هو إنشاء آلية مراقبة أكثر فعالية إزاء عمليات تهريب السلاح إلى قطاع غزة، والتي ستشمل جهوداً من جانب مصر، والولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي. وقد قال رئيس الحكومة: "أصررنا على وقف [الحرب] فقط عندما تمكناً من التوصل إلى اتفاق مع مصر [بشأن تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة]. إنه اتفاق مفصل، وخطي.. كل شيء موثق حتى البند الأخير - التزاماتهم [المصريين]، والإجراءات، والجهود، والتفاهات مع الأميركيين والأوروبيين. لم يكن هناك شيء مثل هذا من قبل." غير أن الفعالية الحقيقية لتلك الآلية ستتضح مع مرور الوقت، وذلك تبعاً للأوضاع على الأرض، فوجود اتفاق مكتوب، مهما يكن مفصلاً، لا يمكن في حد ذاته أن يضمن ضمان التنفيذ في الواقع العملي. وربما تشير مطاردة القوات الأميركية سفينة أسلحة إيرانية كانت تنقل أسلحة إلى قطاع غزة واقتحامها، إلى وجود تطور إيجابي من منظور إسرائيلي. (4)

لقد أبرزت الحرب الشرخ القائم في العالم العربي بين المعتدلين والمتطرفين وعمقته. وصرح عمرو موسى، الأمين العام لجامعة الدول العربية (الذي يفترض أنه يفهم العالم العربي أفضل من غيره) خلال هذه العملية، أن العالم العربي على حافة انقسام وفوضى كاملين. إن إضعاف العالم العربي ربما يترك لإسرائيل مساحة أكبر للمناورة على الصعيد الدولي، هذا إذا كانت إسرائيل ذكية بما فيه الكفاية كي تستفيد من هذه الفرصة. علاوة على ذلك، فإن المواجهة بين المعسكرين العربيين أثبتت أن المعسكر المعتدل الذي تقوده مصر له اليد العليا، وهذه أيضاً ظاهرة تخدم مصالح دولة إسرائيل. ومع ذلك، هناك في هذه الحالة أيضاً حاجة إلى قدر كبير من الحذر. ففي الماضي، عرف العالم العربي خصومات وانقسامات صعبة تم حلها في نهاية المطاف على نحو لا يمكن اعتباره يخدم مصالح إسرائيل. (5)

أخيراً، أكدت الحرب الاهتمام الكبير الذي يوليه المجتمع الدولي، وخصوصاً الولايات المتحدة وأوروبا، للحرب على الإرهاب. فظهور رؤساء دول أوروبية رئيسية في إسرائيل في نهاية الحرب إلى جانب رئيس الحكومة الإسرائيلية وغيره من الوزراء، في مناسبة ذات طابع احتفالي ومتعاطف، أظهر هذا الموقف بشكل صريح. ومن نواح عديدة، يمكن اعتبار هذا الأمر في منزلة "صورة الانتصار".

في ضوء هذه الإنجازات، عبّر سياسيون وعسكريون رفيعو المستوى عن آراء فحواها أن "العملية حققت أهدافها بشكل كامل". ومع ذلك، ثمة أوساط عريضة داخل المؤسسات السياسية والعسكرية، وكذلك في صفوف الجمهور عموماً، تشعر بأن العملية لم تحقق الهدف. ويمكن أن نقترح ثلاث فرضيات بشأن الفجوة بين مشاعر الإنجاز ومشاعر خيبة الأمل:

1 - بعد حرب لبنان الثانية، أكدت القيادة العسكرية، ولا سيما رئيس هيئة الأركان العامة غابي أشكنازي، مراراً وتكراراً، أن على إسرائيل أن تحقق في المواجهة المقبلة حسماً واضحاً على الأرض، بحيث يصبح السؤال "من الذي فاز في الحرب؟" غير مطروح. وهذا التصريح أثار توقعات بتحقيق حسم لا لبس فيه في هذه الحملة. ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الهدف غير قابل للتحقق في المواجهة مع المنظمات الإرهابية. (6)

2 - لعل الشعور بتحقيق النصر يتولد بمنأى عن الأهداف الرسمية التي تحددها قيادة البلد للحملة العسكرية. فالرأي العام يبلور موقفاً مستقلاً يحدد بموجبه ماذا يجب أن تكون أهداف الحملة، وفي ضوءها يحكم على نتائج الحرب. وقد عرضت مشاعر الفشل في وسائل الإعلام في سياق ثلاثة عناصر رئيسية هي: (أ) لم تعلن "حماس" الاستسلام، ولم تطلب علناً وقف إطلاق النار من دون شروط؛ (ب) لا تقدم آلية مراقبة تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة، ضمانات حقيقية؛ (ج) لم تتحسن بشكل ملحوظ، شروط إطلاق [الجندي الأسير لدى "حماس"] غلعاد شاليط. (7)

3 - من المحتمل أيضاً أن يكون الرأي العام شعر بأن الأهداف الرسمية للحملة، كما عرضتها القيادة السياسية، لا تعكس الأبعاد الحقيقية للأهداف التي سعت القيادة السياسية لتحقيقها منها. وفي هذه الحالة، كانت الغاية من إعلان أهداف محدودة للحملة هي، من ناحية، توفير الغطاء لاحتمال عدم تحقيق الأهداف الأشمل، ومن ناحية أخرى، كي يعم شعور بالارتياح الكبير في حال تحقيق أهداف تتجاوز التوقعات. وقد أكد رئيس الحكومة نفسه هذا الرأي عندما قال في مقابلة صحافية: "لا أحد منكم سمعني أقول في أي وقت من الأوقات ما أريد تحقيقه حقاً، وما هو الهدف الذي حددته، باستثناء ما جاء في البيان الرسمي. لماذا؟ لأنني اعتقدت أنه سيكون من الخطأ أن أفعل ذلك." (8)

إن هذه الرؤية لكيفية تولد الشعور بالانتصار يجب أن تكون ماثلة في أذهان صانعي القرار في إسرائيل في حال اندلاع مواجهة حربية أخرى مع المنظمات الإرهابية في الشمال والجنوب، ذلك بأن احتمال وقوع مواجهة كهذه يكاد يكون مؤكداً. ■

(\*) باحث في معهد الأبحاث القومي في جامعة تل أبيب.

(\*\*) المصدر: "عدكان استراتيجي"، المجلد 11، العدد 4، شباط/فبراير 2009.

ترجمة: سمير صراص.

- (1) بشأن حجم التدمير في القطاع، أنظر: براك رافيد، "رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية: (حماس) تسعى لصورة انتصار كمخرج مشرف"، "هآرتس"، 11 كانون الثاني/يناير 2009. وعن تصريح خالد مشعل، أنظر: "الرصاص المسبوك - يوميات الحرب"، 10 كانون الثاني/يناير 2009، في الموقع الإلكتروني:  
[http://www.sikurmemukad.com/gaza2009/?p=561:](http://www.sikurmemukad.com/gaza2009/?p=561)  
Thalif Deen, UNRWA Chief Appalled at Israeli Destruction in Gaza,  
<http://antiwar.com>
- (2) بن كسبيت، "الآن أنتم ستصدون"، "معاريف"، 23 كانون الثاني/يناير 2009. وبشأن أقوال رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، أنظر: أخبار القناة 2، 11 كانون الثاني/يناير 2009، في الموقع الإلكتروني:  
<http://news.reshet.tv/News/Politics/StatePolicy/Article,11392.aspx>
- (3) فيما يتعلق بسياسة الرد الجديدة للجيش الإسرائيلي، أنظر: زاكي شالوم، "مدى قابلية تطبيق سياسة الرد الجديدة للجيش الإسرائيلي إزاء حزب الله"، "مباط عال"، العدد 76، 23 تشرين الأول/أكتوبر 2008: غبريئيل سيبوني، "مفهوم الرد الإسرائيلي في ضوء حرب لبنان الثانية: ضربة غير متكافئة"، "مباط عال"، العدد 74، 1 تشرين الأول/أكتوبر 2008.
- (4) بشأن تصريح أولمرت، أنظر: كسبيت، مصدر سبق ذكره. وعن القبض على سفينة الأسلحة الإيرانية، أنظر: أمنون أبراموفيتس، "القبض على (كارين إي) الثانية"، أخبار القناة 2، في الموقع الإلكتروني:  
<http://www.mako.co.il/news/politics-news/military/Articles/itemId=fd6527c55832f110VgnVCM100000290c10acRCRD>
- (5) حغاي هوبرمان، "عمرو موسى: العالم العربي على حافة الانهيار"، القناة 7، 19 كانون الثاني/يناير 2009، في الموقع الإلكتروني:  
<http://www.inn.co.il/News/News.aspx/184369>
- (6) يوفال أزولاي، "أشكنازي: في أي مواجهة مستقبلية، يجب أن يكون واضحاً من الذي انتصر"، أخبار Walla، في الموقع الإلكتروني:  
<http://news.walla.co.il/?w=//1166367>
- (7) بالنسبة إلى الشعور بتفويت الفرصة داخل الجيش الإسرائيلي، أنظر: عاموس هرئيل، "الرصاص المسبوك، القادة الميدانيون يعرضون محصلة القتال في غزة: راضون عن حجم القوة التي استعملت في غزة"، "هآرتس"، 23 كانون الثاني/يناير 2009.
- (8) كسبيت، مصدر سبق ذكره.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)